لمحات من الحياة الفكرية لمحمد ياسين عريبي

د . زريمق مولود أبوطلاق - قسم الفلسفة- كلية الآداب – جامعة الزاوية.

مُقَدِّمـــــــــــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأميّ الأمين المبعوث رحمة للعالمين [**بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**] سورة التوبة، الآية: 33.

وبعد..

يمثل المفكر والأستاذ الليبي محمّد ياسين عريبي ، حالة خاصة في تاريخ الثقافة الليبية والعربية ؛ ذلك لأنه الأستاذ الذي إذا دخلت أرضه ، واطلعت على ميراثه الفكري ، فلن تخـــــرج كما كنت ، ذلك لأنّ عريبي هو الأستاذ الرائد والمفكر الكبير الذي يترك بصماته على ذهنك . ولعل إسهاماته الفكرية خير دليل على ذلك .

فهو يُعدّ من بين الشخصيات الإسلامية العظيمة ، التي كانت لها مشاركات جليلة في الدفاع عن أصالة الفكر الإسلامي ، فقد حمل على عاتقه راية العلم والمعرفة والحضارة الإسلامية ، فدافع عن أصالته وكانت له مواقف عظيمة في مواجهة التشويه والتضليل الذي تعرض له الفكر الإسلامي من قبل أعداء الإسلام .

محمد ياسين عريبي – رحمه الله – ؛ مفكر وكاتب ليبي ، وأستاذ جامعي ، ونموذج نادر وفريد للمفكر الليبي ، والذي نجح في أن يثبت ذاته، وذلك عندما تمكّن من خلق نموذج للمفكر العربي الإسلامي الناقد للفكر الغربي، والذي ظهر في كتاباته ومقالاته ودراساته في مجال الفلسفة عامة والفلسفة الإسلامية خاصة.

أهـــــداف الدّراســـــة:

- التعريف بمفكرنا العربي الليبي محمد ياسين عريبي.
- إلقاء الضوء علي موقف محمد ياسين عريبي من مسالة الأصالة والأبداع في الفكر العربي الإسلامي.
- التعرف علي موقف عريبي من الاستشراق وتغريب العقل العربي.
- إفادة الباحثين والمعنيين في نتائج الدراسة.

أهمية الدراســــــة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تتحدث عن مفكر ورجل علم عربي ليبي يعتبر من أحد أبـــرز رجال الحركة النهضوية في عالمنا العربي الإسلامي.

منهج الدراســــــة :

وقد اعتمدتُ في إنجاز هذه الدراسة أولاً : على المنهج التحليلي : من خلال تحليل آراء وأفكار ياسين عريبي العميقة . وثانياً: علي المنهج التاريخي ، وذلك من خلال تتبع آراء وأفكار فلاسفة الإسلام وفلاسفة الغرب وصولاً إلي عصر محمد ياسين عريبي .

خطة الدراســــــــة:

قسمت الدراسة إلى أربعة مباحث : المبحث الأول: مولده ونشأته وتعليمه ومؤلفاته. والمبحث الثاني: الفكر الإسلامي بين الأصالة والإبداع ،والمبحث الثالث: موقف محمد ياسين عريبي من الاستشراق والتغريب ،والمبحث الرابع: المشروع الإصلاحي للإمة الإسلامية عند محمد ياسين عريبي.

المبحث الأول ـ مولده ونشأته وتعليمه ومؤلفاته :

هـــو محمد ياسين الطاهر عريبي ليبي الجنسية ، ولد يوم 15-11-1939م ، بمدينة غريان ، منطقة اللماميش ، وينتمي إلي أســــــرة عريقة ذات حسب ونسب من قبيلة الكميشات، التي يعود نسبها للرسول- صلى الله علسيه وسلم - وهي من القبائل المعروفة بالعلم منذ القدم.

تعليــمه : تلقى المفكر الليبي محمد ياسين عريبي تعليمه الابتدائي في مدرســـة أولاد أبي رأس بغريان ، ثم انتقل إلـــي الزنتان حيث درس الصف الخامس ، وتحصّـل علي الشهادة الابتدائية عام 1953م ، وفي عام 1956م تحصل علي الشهادة الإعدادية بمدرسة غريان الإعدادية ، ومن ثم تحصل علي شهادة دبلوم المعلمين العامة، وقد عمل في مهنة التدريس، ثم أكمل تعليمه الثانوي بمدرسة مصراته الثانوية وتحصل علي الشهادة عام 1958م. والتحق بكلية الآداب جامعة بنغازي ودرس الفلسفة، وتحصل علي درجة الليسانس عام 1961م. وكان من المتفوقين في دراسته، ثم عين معيداً بالكلية مما أهله للحصول على بعثه دراسية لإكمال تعليمه بألمانيا الغربية آنذاك.

وفي عام 1969م تحصل علي درجة الماجستير من جامعة بون الألمانية ، وكان عنوان الرسالة : الوصف النقدي لمشكلة العلية عند الغزالي وفي عام 1972م تحصل علي دكتوراه من نفس الجامعة، وكان عنوان الرسالة: "إشكالات فلسفة الغزالي

وعلاقتها بمبدأ العلية. وعمل أستاذ بكلية الآداب جامعة بنغازي ، ثم انتقل إلي العمل في كلية الآداب جامعة طرابلس عام 1973م.

نشاطاته : كانت له العديد من المشاركات في المؤتمرات الدولية والمحلية، منها: مؤتمر جمعيات الدراسات الفلسفية بنيويورك 1976م. هذا وقد مثل ليبيا في الملتقى الإسلامي المسيحي الثالث عام 1982م بقرطاج تونس، والمؤتمر الفلسفي الثالث لجمعية الفلسفة العربية في دمشق عام 1990م، حيث شارك ببحث بعنوان : الشيء بذاته عند الغزالي وإيمانويل كانط. وأيضاً كانت له مشاركة في مؤتمر السابع لكانط بألمانيا عام 1995م.

وفاته: انتقل محمد ياسين عريبي إلى رحمة الله وبركاته يوم الأثنين الموافق:1998/11/30م.

مؤلفاته: من أهم مؤلفات الدكتور محمد ياسين عريبي والتي اعتمد عليها الباحث في هذه الدراسة ، هي :

ـ مواقف ومقاصد في الفكر الإسلامي المقارن " هـــو عبارة عن مجموعة من البحوث تتناول العديد من المقارنات بين الفكر الإسلامي بالفكر الغربي الحديث".

ـ الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي.

ـ تأملات في بناء المجتمع الإسلامي.

ـ مثلث المنهج التجريبي في الفكر الإسلامي**.

المبحث الثاني ـ الفكر الإســـلامي بين الأصالة والإبداع :

يقول ياسين عريبي :" بأن الفلسفة الإسلامية اتهمها بعض المؤرخين بأنها تقليدية،... والحقيقة أن الفلسفة الإسلامية قامت علي الأصالة والإبداع فاعتمدت أول ما اعتمدت عليه مسلمات من القرآن والسنة "([1]).

الحقيقة أراد مفكرنا أن يرد علي الذين يشككون في القدرات العقلية الإسلامية على الأبداع والإنتاج .لذلك عمل من خلال مؤلفه المشهور :" مواقف ومقاصد في الفكر الإسلامي المقارن" علي عقد العديد من المقارنات لأثبات وإبراز مواطن الأصالة والابتكار في الفكر الإسلامي . نذكر منها : مسألة العلية التي نسبت إلي الفكر الأوروبي الحديث إلي الفيلسوف الإنجليزي ديفيد هيوم "1711 - 1776" رغم قصوره في فهم المشكلة ككل ، وهي في الأساس ترجع إلى الفيلسوف الإسلامي أبو حامد الغزالي "1058- 1111"، و- أيضا- قد جاء "نقد الفيلسوف الألماني كانط "1724- 1804" - كما يقول عريبي - للميتافيزيقا مطابقاً لما ورد في كتاب التهافت للغزالي، دون أن

يتقدم خطوة واحدة". وهو تأييد لمل قاله الفرنسي كإرادي فو "1867 – 1953م" بأن الغزالي سبق كانط إلى نظرية عجز العقل، وأن كتاب التهافت خير ما وضع لدرس قيمة العقل([2]).

ولعل أول محاولة تركيب للفكر الإسلامي ـ كما ذكر عريبي - تميّزت بالشمول هي محاولة الفيلسوف الفرنسي ديكارت "1596- 1650"حيث اعتمد في مبحثي المعرفة والوجود علي مذهب الفيلسوف الإسلامي ابن سينا "980-1037"، وفي الطبيعيات علي المذهب الأشعري وفي المنهج علي الغزالي وابن الهيثم "965- 1040".

أيضا يذهب محمد ياسين عريبي إلي أن فلسفة كانط وكذلك فلسفة لبينتزا"1646-1716" تعتمدان أولاً وأخيراً علي نظريات المتكلمين وفلاسفة الإسلام.

المبحث الثالث ـ موقف ياسين عريبي من الاستشراق والتغريب من خلال مؤلفه :" الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي :

يعتبر محمد ياسين عريبي من بين الذين كانت لهم رؤية واسعة بالمنحى الاستشراقي، إذ أولىَ اهتماماً خاصاً بهذا الموضوع . حيث يقول :" تنبهت الكنيسة... للتحدي الجديد، وأدركت الخطر علي وجودها، فكان لا مفر لها من الدخول في صراع مع الإسلام. بحكم غريزة البقاء، وقد ادركت منذ البداية أن التكافؤ في التحدي لا يتم إلا من خلال المعرفة، علي أنها أقوى سلاح لتحديد مسار الصراع مع هذا النور الجديد ومن هنا سعت الكنيسة إلى إيجاد منهج يتحدد من خلاله فهم روح الإسلام وخاصة علي المستوى الفكري والعقائدي فظهر الاستشراق كوسيلة لمعرفة حضارة الإسلام، ولا يزال الاستشراق ... أداة لاستلاب حضارة الإسلام ومهاجمة عقيدته حتى يومنا هذا"([3]) .

هكذا يتضح لنا مدى حرص مفكرنا العربي الليبي علي تنبيهنا من سوء النية للفكر الغربي، والمتمثل في سلب ونفي الأبداع العلمي والفكري عن الفكر الإسلامي، وأيضا ردّ العلوم والمعارف والنظريات الفلسفية والمناهج إلي إبداع الحضارة الغربية.

هذا وقد ذكر لنا العديد من الأمثلة التي تؤكد صحة قوله. منها :ما قام به الفيلسوف الفرنسي فرنسيس بيكون "1561- 1626" من استلاب خطوات منهج الغزالي في التخلي عن الأوهام العارضة للنفس ، وهو المنهج الذي اتبعه فرنسيس الذي لم يأت بجديد فيما يسمى بالمنهج ســـوى وضعه لمصطلحات أراد بها استلاب هذا المنهج من الغزالي دون ذكر اسمه ،وقد جاءت هذه المصطلحات نفسها علي صورة أوهام ... يريد بيكون تحرير الفهم من مزالقها[4].

ولهذا يقول لنا عريبي : " لنبدأ بنقد العقل التاريخي وتصفيته من السلبيات وذلك علي المستويين النظري والعملي لمعرفة كنه الحضارة المعاصرة وتجاوزها، وهذا هو المنهج الذي اتبعاه في تحديد مسار هذه الدراسة ابتداء من ردة العقل التاريخي الجديد " العربي" إلي أصوله العربية ، وذلك ابتعادا عن التفاصيل التي أوهمتنا في الماضي بان أصول العقل يونانية كما يدعى المستشرقون"[5].

الحقيقة إن محمد ياسين عريبي أراد أن يوضح من خلال مؤلفه المشهور بأن المسلمين اكتشفوا وحدات : العقل الضروري والتجريبي السامي والمتسامي بفضل تحليلهم لمبحث الصفات الإلهية، وهذه الوحدات العقلية هي التي اعتمد عليها الفكر الأوربي من القرن السابع عشر الميلادي .

هذا، ونؤكد علي ما ذهب إليه ياسين عريبي علي ضرورة وجود منطلق جديد لإعادة كتابة تاريخ الفكر الإنساني يكون وحدة متصلة من الفكر الشرقي والغربي علي السواء، وهذا يقتضي دراسات نقدية تحليلية تكشف السرقات الفكرية وتعيد هذه الأفكار والنظريات لأصحابها ليحق الحق ويبطل الباطل .

المبحث الرابع ـ المشـــــروع الإصلاحي للإمة الإسلامية:

يؤكد مفكرنا محمد ياسين عريبي من خلال هذا المشروع علي ضرورة "تظافر الجهود المتساوقة والمتلاحقة لإعادة دورة الحضارة العربية، وتجاوزها للحضارة المعاصرة". كما أن أساس صلاح الأمة عنده يكمن في " تحرير العقول من سيطرة الخرافات وإطلاق النفوس من اسر الشهوات، فينهض جيل ... يدرك قيمة العلم وينقد الآراء الباطلة والأعمال الفاسدة والتحصن بالدين وعقيدة التوحيد والوصول بالمسلم إلي مرحلة مشروطة"[6].

هذا ،ويؤكد أحد الدارسين في بحثه" علاقة الأنا بالأخر عند حسن حنفي ومحمد ياسين عريبي" بأن محمد عريبي قدم مشروع حضاري يهدف إلي نهوض الأمة عبر برنامج متكامل يضم عدة وسائل لتصحيح مسارها كأبعاد يرى أنها كفيلة بتحقيق هذا الهدف. ومن هذه الأبعاد نذكر منها :البعد القومي.

ولم يكتفي مفكرنا بتقديم مشروع حضاري للامة الإسلامية فقط، بل نادى بضرورة بناء مجتمع دولي خالي من الحروب والظلم والتعسف، مجتمع يؤمن بالسلام الدولي وحقوق الإنسان وتسخير الإمكانيات الاقتصادية لخير البشرية جميعاً، ويرفض الهيمنة والتسلط.

وإن النظام الذي يطمح إليه يقوم على الأسس التالية:

* ضرورة تحقيق السلم العالمي.
* ضرورة إقامة العدل والمساواة بين الأمم كبيرها وصغيرها قويها وضعيفها.
* احترام حقوق الإنسان.

وأخيراً يمكننا القول بأن الغرب – كما يقول إدوارد سعيد –" يتصورن العرب مثلاً، راكبي جمال، إرهابيين، معقوفي الأنوف، شهوانيين شرهين، تمثل ثروتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية، وثمة ، دائماً، افتراض متربص بأن المستهلك الغربي، برغم كونه ينتمي إلي أقلية عددية ، ذو حق شرعي إما في امتلاك معظم الموارد الطبيعة في العالم ، أو في استهلاكها " أو في كليهما" .لماذا؟ لأنه، بخلاف الشرقي، إنسان حق"([7]).

هكذا يتضح لنا جهود مفكرنا العربـــي الليبي محمّد ياسين عريبي من خلال التأكيد علي أصالة الفكر الإسلامي، وعلي ضرورة مواجهة مؤامرة الاحتواء التي تمارسها الأنظمة العلمانية.

الخاتمة :

من أهم النتائج التي توصلنا إليها من دراستنا:

-أن محمد ياسين عريبي دخل تاريخ المعرفة من بابه الواسع عبر ترسيخ اسمه كأحد المرجعيات الفكرية في تناول ظاهرة الاستشراق.

- قدّم محمد ياسين عريبي أبحاث ودراسات مفيدة تتســـــم بالجدية والمنهجية والعمق والتأصيل في تناوله للمواضيع.

- عقد عريبي العديد من المقارنات بين النظريات الفلسفية لدى مفكري الغرب مع نظريات فلاسفة الإسلام.

- أكد عريبي بان فلاسفة الغرب لم يشيروا في تناولهم لعديد من النظريات الفلسفية إلى جذورها الأولى لفلاسفة الإسلام بل يرون بان هذه النظريات من أبداعهم.

- يؤكد عريبي علي ضرورة نبذ التمايز ورفض الاستعلاء والادعاء والغرور الذي أفرزته الحضارة الغربية .

- لقد عمل على أحياء ونقد العقل التاريخي العربي للتخلص من الأوهام وفرضيات الاستشراق.

- أكد عربي علي أن الفكر الإسلامي يعتمد في منطلقاته علي القرآن والسنة وليس كما ادعى الغرب علي الفكر اليوناني.

-يؤكد عريبي علي ضرورة نهوض الأمة العربية الإسلامية كي تدرك مسئوليتها في إعادة بناء الحضارة الإنسانية من جديد وتتجاوز سلبيات الحضارة المعاصرة.

- نادى عريبي بضرورة مشاركة الجميع في تحديد مصير الإنسانية.

- التنبيه لأخطار التغريب باعتباره وجهاً من وجوه الغزو الثقافي والاستلاب الحضاري الذي يهدف إلي تجريد الأمة من مقوماتها الذاتية.

الهوامش:

** بحث منشور في مجلة المسلم .

[1] محمد ياسين عريبي، مواقف ومقاصد في الفكر الإسلامي المقارن، الدار العربية للكتاب - تونس، ط2، 1991م، ص42.

[2] محمد السعد، الغزالي وكانط في التاريخ الأدبي، مقال جريدة الوطن، فبراير 2020.

[3] محمد ياسين عريبي ، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، المجلس القومي للثقافة – الرباط ،1991م،ص77.

[4] محمد ياسين عريبي، الاستشراق، المصدر السابق،ص91.

[5] المصدر السابق، ص225.

[6] محمد ياسين عريبي ، تأملات في بناء المجتمع الإسلامي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية - طرابلس، 1989م، ص149.

[7] إدوارد سعيد، الاستشراق ، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية –بيروت، ط6، 2003، ص131.